أسماء الشخصيات وعلاقتها بالمحتوى القصصي المُقدَّم للطفل الإفريقي والملامح الاجتماعية من خلال مجموعة (هيا نحكي) الكينية المترجمة من السواحيلية

إعداد الكاتبة / رانيا إبراهيم مسعود

ماجستير الإعلام وثقافة الأطفال

مقدمة:

تعكسُ أسماء الشخصيات التي يختارها كاتب قصص الأطفال جوانب لغوية وثقافية واجتماعية مهمة؛ إذ أنها تشير أحيانًا إلى الحياة الاجتماعية، وأحيانًا إلى السمات النفسية وأحيانًا أخرى إلى الطبيعة السائدة في بلاد منشأ القصص، وفي بحثنا نستعرض أسماء القصص وعلاقتها بالحياة الاجتماعية، وما تقدمه تلك القصص من مضامين، نستوضح منها الحياة التي يعيشها الطفل الإفريقي في كينيا.

أولًا ـ أهمية البحث:

البحث له أهمية تطبيقية تتمثل في إعادة الأدب الإفريقي المُترجَم للغة العربية إلى أذهان الطفل العربي، عن طريق إيجاد الرابط بين أسماء شخصيات بعض القصص من التراث الإفريقي والحياة الاجتماعية، وما تعكسه معاني تلك الأسماء من رموزٍ ومعانٍ. وذلك البحث، علاوة على ما يقدمه من أهمية تطبيقية في هذا المجال، فإنه يشجع على انتقاء المزيد من الحكايات المترجمة عن الأدب الإفريقي المُقدَّم للطفل، وخاصةً باللغة السواحيلية في كينيا ودول أخرى من إفريقيا.

ثانيًا ـ أهداف البحث:

يهدف البحث إلى إبراز دور الترجمة في الكشف عن الحياة الاجتماعية والتراث والعادات المنتشرة في إفريقيا من خلال القصص التي تحكيها المجموعة المترجمة، كما يهدف إلى نشر الثقافة الإفريقية للطفل المصري والعربي للتعرف على الوطن الإفريقي الأم، ذلك الوطن الذي تمثله العديد من الدول الإفريقية بالقارة.

علاوة على تشجيع المزيد من الباحثين والمترجمين على تقديم مترجمات مماثلة في هذا المضمار.

ثالثًا ـ منهج وعينة البحث:

استخدمت عينة عمدية من القصص مختارة من المجموعة المترجمة من السواحيلية إلى العربية (هيا نحكي) تحملُ أسماء شخصيات القصص التي أطلقها الكاتبُ أحمد ندالو، وقد ترجمها الأستاذ الدكتور/ عبد الحي سالم ـ رئيس قسم اللغة السواحيلية بجامعة الأزهر ـ ضمن المشروع القومي للترجمة عام ٢٠٠٥.

وقد روعي عند انتقاء عينة القصص أن تحتوي عناوينها على أسماء بعض أو أهم شخصياتها الواردة داخل القصص.

والبحث يعتمد على تحليل الأسماء ومعانيها وعلاقتها بالمضمون والمحتوى القصصي في العينة المختارة، باستخدام المنهج الوصفي وباستخدام تحليل المضامين المقدمة بالقصص تحليلًا كيفيًّا.

رابعًا ـ تحليل مضامين القصص عينة البحث والتعليق عليها:

صدرت مجموعة (هيا نحكي) للكاتب الكيني أحمد ندالو – Hadi the Njoo Ahmed Ndalu في عام ١٩٩٠ أي منذ حوالي ٣٠ عامًا، وكان ذلك عن دار نشر Savoni's Publication Nairobi في دولة كينيا. وقد جاءت القصص بلغة سواحيلية، ترجم منها الأستاذ الدكتور/ عبد الحي أحمد محمد سالم، إلى اللغة العربية ضمن المشروع القومي للترجمة، وصدرت طبعة الكتاب الأولى في عام ٢٠٠٥، ولم تصدر بعدها أية طبعاتٍ أخرى، على الرغم من الضرورة المُلحّة التي تقتضي إصدار طبعة جديدة من الكتاب؛ لإتاحة الفرصة لدارسي اللغة السواحيلية ودارسي أدب الأطفال الإفريقي للاطلاع على قصصها المختلفة. وتتكون نسخة الكتاب المترجم من مائة قصة وعشر، تقع في ثمانية أجزاء في (٣٨٢) صفحة من القطع المتوسط موزعة كالآتي:

الجزء الأول يقع في (٢٨) صفحة وبه (١٧) قصة، والجزء الثاني يقع في (٣٨) صفحة وبه (١٨) قصة، والجزء الثالث يقع في (٣٢) صفحة وبه (١٦) قصة، والجزء الرابع يقع في (٤٢) صفحة وبه (١٣) قصة، والجزء الخامس يقع في (٥٦) صفحة وبه

(١٤) قصة، والجزء السادس يقع في (٥٢) صفحة وبه (١١) قصة، والجزء السابع يقع في (٥٦) صفحة وبه (١٢) قصة، والجزء الثامن يقع في (٦١) صفحة وبه (٩) قصص.

أما القصص المختارة للبحث، فهي: التلميذ كاتو والمانجو الناضجة، حكاية كوامالي وأصدقائه، حكاية الفلاح زينا، إناء أبي نواس، حكاية أبي نواس والفيل والحوت، الطفلة لولو وعروسة البحر، سيمبل والعفريت الصغير، المزارع تجوا ابن تجوا، كواجنغا الغبي، الأرنب تحمونا والضبع، الأخ جانج جانج والحيوانات، حكاية الأخوين ولول وكوشنا، الفتاة كونجا وأخويها، حكاية هندنكا وبولولو.

وكما يقول الدكتور زكريا عناني: "الأطفال مولعون بقصص الحيوانات؛ لأنهم يتقمصون شخصياتها ويقيمون صداقاتٍ معها. وقد أثبتت التجارب الإحصائية أن إقبال الأطفال دون سن العاشرة على قصص الحيوان أكثر من إقبالهم على القصص الأخرى كالفكاهية والتاريخية، وربما كانت قصص الحيوان أقدم أنواع القصص للأطفال، فقد عُثِرَ على قصص مكتوبة على أوراق البردي عند قدماء المصريين منذ نحو أربعة آلاف سنة. كما يرى البعض أن قصص الحيوان هي أقدم الحكايات الشعبية".

ونبدأ قراءة وتحليل القصص بما ورد في قصة **(التلميذ كاتو والمانجو الناضجة)** من أحداث سلَّط عليها الكاتب الضوء، واختار من خلالها اسم الشخصية المرتبط بمعنى ومغزى القصة. والحكاية أن شيخًا له حديقة بها شجر المانجو لم يرَ لثماره أثرًا، حيث كان (كاتو) يخرج من المدرسة ويسرقها حين تسقط، واعتاد هذا الأمر يوميًّا بعد عودته من المدرسة، إلى أن صعد (كاتو) يومًا إلى الشجرة ليقطف ثمار المانجو ففوجئ بثعبانٍ كبيرٍ فصرخ وسمعه الشيخ الكبير الذي عرف أنه السارق، وأخذه لوالده ليضربه حتى أقسم ألا يعود للسرقة مرة أخرى.

والقصة بطلها اسمه كاتو، وهي كلمة تعني حقيقي بالسواحيلية. وربما أراد الكاتب من هذه الكلمة أن ينبه الطفل القارئ أو المستمع إلى القصة أن السارق الحقيقي هو بطل العمل، لذلك اختار له الاسم كي لا يتفاجأ به مثلما فوجئ الشيخ صاحب الأشجار.

والقصة التالية بعنوان **(حكاية كوامالي وأصدقائه)**، وكوامالي هذا بشرٌ اتخذ من عنكبوت وذبابة وفهد أصدقاء اشترى لهم بماله ثورًا، لكن اختفاء الثور هو الذي جعلهم يتعاونون في رحلة بحثٍ عنه. ولم تخلُ رحلة البحث من الحديث عن الطبيعة والسحر حيث

لجأ الأصدقاء إلى الساحر (بيشيلادي) الذي طلب منهم المال أيضًا ليدلهم على مكان الثور. وهنا يريد الكاتب أن يبرز للساحر دوره في القرية، وأن يرتبط بكلامه بما يعتقدُ فيه أغلب الأفارقة في قراهم من سحرٍ وقوىً خارقة. وعليه فقد طلب الساحر من (كوامالي) المال ليدلّه وأصدقاءه على مكان اختفاء الثور، وبالفعل دفع (كوامالي) له لتبدأ رحلة الإنسان مع الفهد والذبابة والعنكبوت إلى أرض فضاء واسعة يتفاعلون فيها مع رعاة الأبقار حيث وجدوهم يسألون، إلا أن الذبابة حين أشارت هي والعنكبوت إلى الثور، حيث وجدوه في حوارٍ مع الرعاة فكرت مع باقي الأصدقاء ألا يناموا حتى الصباح، ويتحركوا في الليل في طريق عودتهم إلى قريتهم بالثور، وربما كان هذا التنبيه مما يقصده الكاتب من تحذير الأطفال القراء ألا يأمنوا لكلام مَن لا يعطيهم أشياءهم هكذا بسهولة إلا بعد أن يشترط عليهم شرطًا في ظاهرِهِ الفائدة وربما في باطنه الغفلة للانقضاض عليهم. وبوصول الأصدقاء من عنكبوت وفهد وذبابة وإنسان (كوامالي) إلى القرية أرادوا ذبح الثور ليتغذوا عليه، لكن صاحبهم (كوامالي) رفض بشدة؛ لأنه هو الذي يربي الثور ويرعاه، مما سبب للذبابة والفهد والعنكبوت خذلانًا خاصةً أن (كوامالي) قد قرر طردهم جميعًا. وقد وجد الكاتب من هذا الخذلان مبررًا قويًّا يقنع به الطفل الإفريقي الباحث عن السبب وراء مطاردة الذبابة والفهد للإنسان لإيذائه، فانتهزها فرصةً ليضرب للطفل درسًا أن العهد لا بد أن يفي به الإنسانُ ولو كان لحشرةٍ أو حيوان. وفي القصة خيالٌ خصبٌ وارتباطٌ شرطيٌّ حدّده الكاتب في نهايتها بالأذى الواقع على الإنسان من مطاردة الحشرات والحيوان المفترس (الفهد) له. كما أن اختيار الكاتب لاسم البطل الإنسان كان مقصودًا؛ إذ إن كلمة (كوامالي) في السواحيلية تعني الرجل صاحب الأموال، والمال سلطة استغلها الإنسان أحد شخوص القصة لكي يفرض سيطرته على الأصدقاء الآخرين، ولا ننسى أن هذا كان سبب خذلانهم، مما جعل الكاتب يتخير الاسم ليرسخ في ذهن الطفل أن سيطرة المال وسطوته هي التي تجلب إليه الأذى في النهاية بعدم إيفائه بالعهد.

أما القصة التالية، فعنوانها **(حكاية الفلاح زينا)** وتُروَى عن مجموعة من الفلاحين يحاولون التغلب على القردة الذين يفسدون محاصيلهم، إلا الفلاح (زينا) الذي استعان بأولاده ليخلصوه من القردة بالحكمة والذكاء، ولكن القردة تجتمع لتُحكِمَ خطةً لمهاجمة الحقل الذي يملكه (زينا) ويُفاجأ (زينا) في اليوم التالي بما صنعته القردة في حقله. وأراد الكاتب من

القصة أن يضرب مثلًا لمَن يأمنون حيلتهم ومكرهم في التخلص من المفسدين؛ كي لا يعطوا الأمن الكامل لهؤلاء المفسدين، كما فعل الفلاح (زينا) وأولاده الشباب. واختيار اسم (زينا) الذي يكاد يشابه في معناه (الزينة) هو اختيارٌ مُحْكَمٌ من الكاتب الذي أراد أن يضرب به مثلًا لباقي الفلاحين بأن حقله كان زينة الحقول، وأن عقله كان زينة العقول، إلا أنه أمن مكر القردة، وهو ما لا يريده الكاتب من القارئ الطفل حين يطالع قصصه، ليأخذ منها العظة والعبرة والحكمة.

وعندما أراد الكاتب أن يصنع قصةً مستوحاةً من الأدب العربي وحكايات جحا الشهيرة أطلق اسم (أبو نواس) عليها كما في قصة **(إناء أبي نواس)**، ولكنه اختار اسم (مكولولو) لكي يطلقه على الجار الذي أقنعه أن الإناء يلد ويتكاثر. وللاسم (مكولولو) مرجعية الحماقة في التراث الإفريقي؛ إذ يُطلَق على مَن يمكن خداعهم بسهولة. وبالفعل هذا ما حدث في القصة، فقد أقنع أبو نواسٍ الرجل بأن إناءه يلد ويتكاثر حتى زاد طمعه فأحضر إليه كل آنيته، ولكن أبا نواسٍ فاجأه بالردّ أن الإناء قد مات، فتعجب الرجل من قول أبي نواس وسأله، فكان ردّ أبي نواسٍ عليه مقنعًا، فكيفَ صدَّقَ أن الإناء يلد ويتكاثر ولم يصدِّق أنه يموت.

لكن من المدهش أنه استخدم الاسم نفسه أي (أبو نواس) كبطل لقصته (حكاية أبي نواس والفيل والحوت)، ليطلق على صاحب الحيلة الذكية الذي ربط طرفي الحبل بفيل وحوت، ليذهب إلى أحدهما بينما يستخدم الحيلة بقطع الحبل من المنتصف؛ حيث أقنع الفيل أنه كإنسانٍ هو الأقوى، وأقنع الحوت أنه كإنسانٍ أيضًا هو الأقوى، دون أن يعلم أيٌّ من الحيوانين أنه كان يحملُ ثقل الآخر. إلا أن خيال الكاتب جعل الحوت يتتبع أبا نواسٍ ليكتشف الحقيقة ويعلم أنه استخدم الحيلة كي ينال من قوته ومن قوة الفيل؛ وبذا يوجّه الكاتبُ درسًا مفاده: أن طريق الكذب قصير. وفي مرجعية استخدام الاسم العربي دلالة قوية على ارتباط الوطن الإفريقي بالحضارة العربية، واستمداد الكاتب الإفريقي منها القدوة والمثل ليضربهما للطفل الإفريقي القارئ لمجموعته القصصية، حيث استغل بعض ما تردّد على ألسنة العامة في الحكايات الشعبية، وكذا في البيئة الإفريقية الناقلة للثقافات المختلفة؛ ليُضَفِّرَهما معًا في هذا النسيج القصصي.

أما استخدام اسم الطفلة (لولو) في قصة **(الطفلة لولو وعروسة البحر)**، فقد صاحبه تفسير ما للطفلة من مكانةٍ لدى أبويها، علاوة على ما كانت تنعم به من الدلال والترفيه في حياتها. كما أن ارتباطها القوي الصلة بالبيئة الساحلية وعروسة البحر جعل الكاتب يطلق عليها اسم (لولو) بمعنى اللؤلؤ الغالي النفيس الذي يُستَخْرَج من المحار، والذي يوجد أيضًا في أعماق البحر. وقد عاشت الطفلة في القصة في كنفِ والديْها اللذين ربيانها على الحرية والتنعُّمِ والتمتُّعِ بالطبيعةِ، وقد ساعدتها الأجواءُ التي عاشت فيها بين عناصر الطبيعة في الجزيرة على أن تصاحب الحيوانات والمخلوقات الأخرى، وتوظّف الخيال الذي أمداها به الأبوان في حكاياتهما إليها لتأخذ حِذرَها على الرغم من مخالفتها إياهما. وبهذا رأينا في نهاية القصة أن الكاتب يُوَجِّه للطفلِ درسًا يقول فيه: (يمكن أن تُعَرِّضَ نفسَكَ للخطرِ إذا لم تسمع نصائحَ الأهل).

وفي قصة **(سيمبل والعفريت الصغير)**، نجد شخصية (سيمبل) الفتى الشجاع الذي أحسنَ التصرف بقتل الفتاة الصغيرة التي اكتشفَ أنها عفريت من الجن أراد أن يستدرجه ويستدرج أهل القرية ليأكلهم في أعلى الجبل، فقتل الفتاة الصغيرة حتى وإن كان هذا القتل قد جلب عليه المشاكل مع الأسرة التي عاتبه فيها الأب حين واجهه بأنه لا بد أن يساعد الناس الضعفاء لا أن يقتلهم وينال منهم ومن جثتهم كما جاء في القصة، إلا أن شجاعة (سيمبل) هذه قد جعلته يقنع أهل القرية بأكملها أن المقتول عفريت من الجن ولم يكن المقتول طفلةً كما تراءت للشاهد الذي صحبه. وقد أثبتَ ذلك بما دلّل به على أفعال الجان والعفاريت أنهم خارقون، إلا أن إعمال العقل لا يفيدُهم حين يقرر الإنسان أن يتخلص من شرورهم كما حدث في القصة للعفريت المتخفي في صورة الطفلة.

وفي شخصية المُزارِع (تجوا) في قصة **(تجوا ابن تجوا)** نجد أن الدرس المستفاد كان عن عدم الاستهانة بمن كان دونك حجمًا في مقولة (لا تستهن بشخصٍ لصغر جسمه)؛ إذ أن الزوجة استعانت بالكلب ليسحبا الثمرة المُتجذِّرة في الأرض (ثمرة الكسافا)، لكنه لم يُفلح فاستدعى الكلب (شيريكي) صديقه (شوا) وكان فأرًا صغيرًا استهانوا جميعًا بقوته، إلا أنه قدم فكرةً وقرض جذور الثمرة من الأرض، وهكذا نجحوا جميعًا في اقتلاع الثمرة من جذرها. وفكرة القصة على بساطتها، إلا أن أسماء الشخصيات التي تلعب أدوارها داخلها قد أضاف إلى معناها؛ حيث إن اسم (شيريكي Shiriki) مثلًا معناه الشريك، وهو اسم الكلب

الذي استعانت به الزوجة لكي يعاونها ويشاركها هي وزوجها في اقتلاع الثمرة، وكذلك اسم (شوا) الضئيل الصغير إشارة إلى الفأر الذكي الذي استهانوا به إلا أنه قد ساعدهم في اقتلاع الثمرة.

وعندما أراد الكاتب أن يعطي للناس درسًا أن الدجَّال الذين يظنونه ذكيًّا ببراعته في الحيل والمكر والدجل، استخدم حكاية **(كواجنغا الغبي)**، واختلق قصة شراء الآنية وتعرضه للنصب من التاجر الهندي، وذلك كي يُخلفَ ظنون الناس فيه حين اعتقدوا أنه يتمتع بثقافةٍ غزيرة، ولكنه في الحقيقة اتضح أنه يُخفي غباءً كبيرًا. ويقول الكاتب أن (كواجنغا) هذا ذهب ليشتري إناءً بدلًا من إنائه القديم، وأشعل الحطب ووضع الإناء الجديد فوق النارونام وتركه حتى اشتعلت النيران بالإناء أثناء نومه، بل وانفجرت الآنية، ودخل الجيرانُ ليضحكوا من غباء هذا الدجَّال الذي ذهب ليشكو البائع الذي اشترى منه الإناء الجديد إلى الشرطة، لكنهم ضحكوا وسخروا منه ومن غبائه، وتركوه ليشتري إناءً غيره، وفي الدرس المستفاد يقول الكاتب: (إذا لم تفهم أو تعرف أمرًا ما فاستفسر عنه). ولمعنى اسم بطل القصة الغباء، وهو ما أشارت إليه القصة بالفعل من خلال أحداثها.

أما في قصة **(تخمونا والضبع)**؛ فقد استخدم الكاتب اسم (تخمونا) ليطلقه على الأرنب بينما لم يطلق على الأسد والضبع أي اسم في الحكاية، ولا حتى اسم والد الأرنب. ولم تكن الحيلة التي صنعها الأرنب في القصة إلا كجزاء للحيلة التي صنعها الضبع لينال من الأرنب. والدرس المستفاد كان (من حَفَرَ حفرة لأخيه وقع فيها). واسم الأرنب (تخمونا) يعني المخادع، وهو ما يدل على ما حدث في محتوى القصة بالفعل، وكذلك فقد وصفه الكاتب بمعرفة خفايا كثير من الناس والمخلوقات التي حوله، لدرجة أن الضبع قد كان يحلم أن يصبح مثله، لكنه ذهب للأسد لكي يقضي على الأرنب بالحيلة.

قصة أخرى يحكيها الكاتب أحمد ندالو عن الحيوان بعنوان **(الأخ جانج جانج والحيوانات)** وكلمة الأخ التي تعهَّدَها الكاتب تشبه كثيرًا طريقة استخدام العامة في المجتمع الإفريقي - ومصر منه - كلمة (أخينا) حين تبدأ حكاياتهم عن أحد الأشخاص، ولا يُقصَد بها بالمرة الإشارة إلى أي علاقة قرابة بين البطل المذكور اسمه وباقي شخصيات القصص. وقد تكررت كلمة (الأخ)؛ لكي يُقَرِّبَ الكاتب البطل في أفعاله وتصرفاته من الطفل القارئ

للمجموعة القصصية. ونلاحظ أن هناك تكرارًا في استخدامها، ليس فقط في هذا العنوان، بل في محتوى القصص الداخلي وكذا في بعض القصص السابقة والتالية التي سنتحدث عنها.

وتحكي هذه القصة عن شخصٍ لم يلتزم الوفاء مع زوجته التي كانت تساعده، وأن هذا مما يسمى بنقض العهد وعدم الوفاء به، خاصةً أن الزوجة عاشت معه مخلصةً وقت فقره وشدة حاجته، وربما لا تناسب هذه النوعية من القصص الأطفال في سن حديثة؛ لأن الطفل لا يدرك هذه القيم ولا تعنيه، إلا أنه ربما مما درج على ألسنة العامة من أقاصيص وحكاوي فقرر الكاتب نقلها للطفل بمزجها بالخيال ودمج الحيوانات معها لتأخذ أدوارها. وفي القصة يلاحظ البطل السلحفاة أثناء عملها، كما يلاحظ النمل ، وتنشأ حالة دفاع عن السلحفاة حين ترقد محتميةً بالأسد ملك الغابة. ويتحدث الإنسان بطل القصة (جانج جانج) إلى الأسد ليشكو إليه ما فعلته السلحفاة، وربما اعتمد الكاتب على هذا الجانب في القصة ليلفت به انتباه الطفل. وتقول الدكتورة غراء حسين عن قصص الحيوان وما يربطها بالإنسان أن الحيوانات تتكلم وتمتلك قوةً سحريةً، وهناك فرق بين حكايات الحيوانات والحكايات الخرافية التي توجد فيها بعض الحيوانات، ونجد فيها تناقضًا بين الإنسان والحيوان أو بين الحيوانات وبعضها. وتمثل الحيوانات الشخصيات الرئيسة منها الخادع والمخدوع، وهناك من الحيوانات ما يساعد البطل ويعاونه. وعليه فإن ما حدث في القصة من مساعدة الحيوانات للبطل (جانج جانج) هو من نوع القصص الذي يغلب عليه اشتراك الحيوان مع الإنسان ومعاونته في قصته، ورأينا أن الأسد قد قدَّم له النصيحة كهدية بأن يفهم لغة الحيوان. وبموجب هذه النصيحة وتلك المساعدة، يعرف (جانج جانج) أن القردة يتحدثون عن اللصوص الذين دفنوا تحت منزله مالًا، يُمكن أن يساعده في القضاء على أزمته المالية، ويفرِّج كربه ويحوّله إلى شخصٍ غني. ويتبدل حاله ويتزوج بالزوجة الثانية التي لا تطيق عيشته مع زوجته الأولى، وتحدث الغيرة بينهما التي تتسبب في وفاة (جانج) في النهاية فيغضب الجميع من الزوجة الثانية ويقتلونها ويحرقون جسدها. وفي النهاية يركز الكاتب على أن أصل الشر في الحياة هو الحقد والغيرة. وعلى ما دار بالقصة من كثرة أحداثٍ وشخصيات، فقد نجد القصة غير مرتبطة بالواقع الطفولي ولا بحياة الطفل، بقدر ارتباطها الذي يحاول أن يستعين فيه الكاتب بالخرافة والحيوانات بموروثاتٍ إفريقية بيئية يعرضها الكاتب من خلال أحداث القصة ذاتها.

وننتقل إلى قصة أخرى بعنوان (حكاية الأخوين ولول وكوشنا)، والقصة يغلب عليها طابع الخرافة والسحر والأمور غير الواقعية المتخيلة بهدف فانتازي فقط، فالأخوان يسيران من قريتهما داخل أماكن تكشف الحياة البيئية والطبيعة الموحشة، وهذا مما يلائم الجو الأسطوري الخرافي الذي يهدف إليه الكاتب من قصته، ثم يجدان جواميس ملقاة على الأرض ويحاولان أن يكشفا ما الأمر وراءها، ويجد أحد الأخوين الفرصة كي يظهر شجاعته ويتعامل بهذه الشجاعة دون خوفٍ كما يعهد من أخيه، فيكشف أحد الأشياء ويرى خلفه عجوزًا قزمة يندهشان من صغر حجمها. ثم تطلب العجوز القزمة من أحدهما أن يقطع الشجرة بفأس ويخرج منها مجموعة من الحيوانات يصحبها إلى قريته؛ ليعيش من العمل معها في القرية. لكن الحكمة تأتي من أن أحد الأخوين يطمع ويفكر في التخلص من أخيه؛ كي تصبح الثروة الحيوانية التي حصل عليها من سِحر القزمة العجوز ملكًا له وحده دون أخيه. وكان الأخ الصغير بالبئر فغادره أخوه وعاد إلى قريتهما ليباهي بما حصل عليه من ثروة حيوانية، فيسأل والداه عن أخيه الأصغر، ويكذب الأخ الأكبر موحيًا لأبويه أن أخاه قد وصل القرية قبله، وتأتي هنا اليمامة وتسجل إحدى عادات الأفارقة بأن اليمام ينبئ بشيءٍ ما ويرسل إلى الناس رسائل تحمل أخبارًا، فيذهب والد الأخوين إلى المكان، حيث يستغيث ابنه الثاني ويروي بعد مساعدته في الخروج من المأزق ما حدث من أخيه الأكبر. وتنتهي القصة بأن يعود الأخ الأصغر إلى المنزل في قريته، بينما يغادر الأخ الأكبر آسفًا على ما فعل لأخيه من أذى ومحاولة للتخلص من حياته. وتصبح الحيوانات التي أخذها بالسحر من نصيب الأخ الأصغر، وتكون هذه عاقبة الأخ الطامع الذي يريد أن يحصل على كل شيءٍ لنفسه.

وللقصة التي تليها عنوانٌ يحمل اسم فتاة، فالقصة اسمها **(الفتاة كونجا وأخواها)**، ومعنى اسم كونجا هو السر الخفي أو الشيء العجيب أو الأعجوبة. وللاسم منذ بداية الحكاية ارتباط بالقصة؛ حيث إن والدي الطفلة أرادا إنجاب الطفلة وانتظرا إنجاب الأنثى بالذات حتى أتتهما بعد صبرٍ واشتياق. لكن معاملة الأب لابنته التي تميزت بالدلال الزائد والتغافل لحال الذكرين جعلت الأخ الأكبر يغار ويصحبها مع أخيها الأصغر إلى الغابة، وهناك يتخلص منها بأن يربطها فوق الشجرة، فتمر قافلة وتستمع للفتاة وهي تغني وتأخذها لتربيها في بيتٍ آخر. وعندما يكبر أخوها في القرية التي خرجت منها يخرج ليبحث عن زوجة، فيأتي نصيبه في بيت أبويها بالتبني، ثم تذهب لتصنع عادات القرية الإفريقية وتطحن الدقيق وهي تغني

لتكشف سرها للناس أنها هي ابنة الرجل الذي سيزوجها من ابنه، وهكذا ينفضح أمر الأخ الذي تآمر على أخته ليتخلص منها ويغادر هذا الأخ البيت، وهي نهاية للقصة التي يحاكي في أغلب أحداثها الكاتبُ قصةَ يوسف، وينكشف سر تخلص الإخوة منه في نهاية القصة. وبهذا يكون اسم الفتاة (كونجا) كأعجوبة أو سر خفي مرتبطًا بأحداث القصة ارتباطًا قويًّا.

آخر القصص المنتقاة كعينة للبحث هي (حكاية هندنكا وبولولو)، والقصة قدمت فيها اسم الشقيقة الصغرى على الشقيقة الكبرى؛ وذلك لأن مصير الشقيقة الكبرى كان الموت نظرًا لما ظهر منها في رحلتها من عنادٍ وتكبرٍ وعدم الاستماع إلى نصائح الجميع، بينما تقدَّمَ اسمُ الفتاة (هندنكا) الطيبة لما له في نفوس الأطفال والقراء من أثرٍ طيب حيث لعبت الفتاة (هندنكا) في القصة دور الشقيقة الصغرى المطيعة المُحبة للطبيعة التي لا تتكبر على المخلوقات. وهكذا نجد كيف كان اختيار الكاتب حتى في تقديم اسم إحدى شخصيات القصة على الأخرى سببًا في تقريب الدور الذي تلعبه داخل القصة للجمهور القارئ من الأطفال. أما القصة نفسها فهي عن أبٍ أراد أن يزوجَ ابنتيه حين كبرتا، فانطلق بقاربه يقصدُ الجهةَ الأخرى من النهر، وعندما وصل سمع بأمر الحاكم الذي يريد أن يتزوج، فعاد إلى ابنتيه محاولًا أن يتخير إحداهما ليقدمها كزوجة للحاكم، فاندفعت الكبرى وهي تريدُ أن تبلغ مكانةً في نفسه بكل عنادٍ وتكبرٍ وغرور، وحذَّرها والدها من هذا التصرف وتلك السلوكيات، إلا أنها لم تنتبه وظلت تسير بعنادها وتكبرها، ولم تصبر لتستمع إلى نصائح الأب وسارت بمفردها حتى وصلت إلى طريق القرية التي تؤدي إلى الحاكم، وعندما بدأت المخلوقات من حولها في حثّها على اتباع إرشاداتهم للوصول إلى الحاكم بالقرية، بدأ عنادها يزداد حتى أدى بها في النهاية إلى الموت. أما الأخت الصغرى، فتصرفت عكس ذلك تمامًا. ونجد أن مساحة ما قدَّمه الكاتب في القصة من صفاتٍ ذميمة في الفتاة الكبرى قد غلبت ما قدَّمه من صفاتٍ مستحسنة في الفتاة الصغرى؛ وذلك كي يضرب للقارئ مثلًا أن الطريق الوَعِرة التي يسلكها الشخصُ الهالك تستمرُ أطول من الطرق المستقيمة التي يسلكها الشخص المجتهد المثابر المطيع. وهنا نجد أن وصول (هندنكا) الفتاة الصغرى للزواج بالحاكم لم يستغرق مساحةً طويلةً من القصة. وتنتهي القصة النهاية التقليدية بزواج الفتاة الصغرى من الحاكم. ويذيّل الكاتب القصة بالهدف منها والحكمة أن عدم الطاعة يتبعه الندم، بينما الطاعة تورث السعادة. وخلال القصة نجد الحيوانات تتخللها؛ لتقدم نموذج الناصح المرشد لطريق الخير، وكذلك

تلعب دورها في تقديم الخرافة كما رأينا في الأشجار الضاحكة والرجل الذي يحمل رأسه على يده والثعبان. وقد استخدمت الحيوانات الأكثر غلبة وذيوعًا في البيئة الإفريقية؛ وذلك كي تعكسَ للقارئ الواقع الإفريقي المعيش.

خامسًا ـ أهم نتائج البحث والتوصيات والمقترحات:

وهنا نقدم النتائج والتوصيات المقترحة، والتي تحقق ما سبق ذكره من محاور مهمة معنية في سياق ما يقدمه أدب الطفل الإفريقي من أطروحات.

هناك سمات تميزت بها مجموعة القصص المختارة (عينة الدراسة) ندرجها فيما يلي:

١) ارتبطت القصص الواردة في مجموعة (هيا نحكي) محل الدراسة بالعيش في القرى وفي الحقول وبين الأدغال وبين أحضان الطبيعة.

٢) تميل بعض القصص إلى توظيف الخرافة والسحر والدجل والعادات والتقاليد الإفريقية.

٣) توظيف الحيوانات في القصص جاء إما لمساعدة أبطال العمل القصصي في الوصول إلى غاياتٍ معينة، أو لتقديم العون والنصيحة، أو لتحريك الأحداث، لكن هناك من القصص ما كان توظيف الحيوان فيه فقط لجذب انتباه الأطفال.

٤) ارتبطت أغلب قصص العينة العمدية باسم البطل أو البطلة والذي إما يوضحه الكاتب من البداية لماذا اختار هذا المعنى، أو يتضح مع نهاية القصة عند الوصول للمغزى والعبرة منها.

إن مجموعة (هيا نحكي) قد قدمت قصصها المختارة ملامح إفريقية ضمت عاداتٍ وتقاليد وخرافات عكست جوانب مهمة من تاريخ وطبيعة وبناء الشخصية الإفريقية في القارة، وعليه تقترح الباحثة بعض **التوصيات** فيما يخص هذه النوعية من الترجمات، منها:

١) تدريس مثل هذه النوعية من القصص للأقسام المعنية بتحليل القصص سسيولوجيًّا وسيميسائيًّا.

٢) استنباط أنواع محببة للطفل تقترب من محتوى هذه القصص لتقديمها إليهم في مجلات الأطفال.

٣) استهداف مثل هذه النوعية من القصص بالترجمة من اللغات الإفريقية المختلفة في الأقسام الإفريقية لكليات اللغات؛ لتُنشَر في مجلات الأطفال.

٤) زيادة البحث العلمي فيما يخص هذه القصص، والوقوف على ما بها من عاداتٍ وتقاليد وخرافات، وما يتفق منها وروح الشعب المصري والعربي من أخلاقيات، وما قد يختلف، وتوضيح القيم التي تحتويها تلك القصص.

سادسًا ـ خاتمة:

وفي خاتمة البحث، نجد أننا قد استعرضنا الأدب الإفريقي من خلال حكايات التراث الشعبي باللغة السواحيلية في دولة كينيا، متمثلةً في القصص المختارة؛ فعلاوة على كون المجموعة القصصية (هيا نحكي) نموذجًا مهمًّا من الترجمات التي تعيدنا إلى إشكاليات تعدد اللغات المستخدمة في الأدب الإفريقي المُقدَّم للطفل، فهي تقدم لنا أيضًا ملامح تأثر أدب الطفل الإفريقي من خلال القصص المتعلقة بالبيئة الإفريقية المحيطة، وكذا تأصيلها لمبادئ الحكايات الشعبية وتأثر أدب الأطفال بها، إضافةً إلى أنها تتطرق إلى إشكالية نشر أدب الطفل بإفريقيا، وسمات هذا الأدب من خلال مضامين القصص. وكل هذا يساعد في الارتقاء بالخطط المقدمة لتنمية الدول الإفريقية، كما أنها تؤدي إلى استثمار مهارات الطفل الإفريقي، وتبرز دور الترجمة وإسهاماتها في تحقيق التبادل الثقافي، وهو الذي يؤدي بدوره إلى تفعيل بروتوكولات التعاون مستقبلًا بين وزارات الثقافة في دول إفريقيا بمجال أدب الطفل.

المراجع:

١- أحمد ندالو، ترجمة عبد الحي سالم، هيا نحكي (مجموعة قصصية للأطفال)، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، ٢٠٠٥.

٢- إسماعيل عبد الفتاح، أدب الأطفال في العلم المعاصر، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠.

٣- إيمان أحمد ونوس، أدب الأطفال بين الثقافة والتربية، قراءة في كتاب.

٤- جوان آيكن، ترجمة يعقوب الشاروني وسالي رؤوف، مهارات الكتابة للأطفال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ٢٠١٥.

٥- زكريا عناني، الأدب القصصي للناشئة مذكرات غير منشورة بكلية رياض الأطفال، الإسكندرية، ١٩٩٧.

٦- سمير عبد الوهاب، أدب الأطفال قراءة نظرية ونماذج تطبيقية، عمان، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطبع، ٢٠٠٦.

٧- د.غراء حسين مهنا، أدب الحكاية الشعبية، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان وشركة أبو الهول للنشر، القاهرة، ١٩٩٧.

٨- يعقوب الشاروني، قصص وروايات الأطفال فن وثقافة، دار المعارف، ط١، ٢٠١٤.

٩- Anna Chitando =, African Children's Literature, Spiritually, And climate change, World Council of Churches, ٢٠١٧.

١٠- Deborah Allen, The image of Africa in North American children’s literature, Africa World Press, ١٩٩٥.